ظاهرة التفكُّك الأُسري في الشعر الأندلسي – دراسة تحليلية (عصر الخلافة مثالًا)

الكلمات المفتاحية : الأُسرة، المجتمع، الأندلس

البحث مستل من رسالة ماجستير

محمد جميل مصطفى — **أ.م. د. لؤي صيهود فواز التميمي**

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

mj0266190@gmail.com *Luay75272@gmail.com*

الملخص

يدرس البحث ظاهرة التفكُّك الأُسَري على أساس نقد المجتمع الأندلسي في ضمن مدَّة عصر الخلافة، إذ إنَّ الشعر كما هو معروف يضطلع بدور مهم في المجتمع؛ وذلك لإنبثاقه من رحم المنظومة الإجتماعية، فهو نتاج إجتماعي ونفسي في الوقت ذاته، والشعر في حقيقته نقدٌ للحياة، وبما أنَّ الشاعر يعانق مشكلات مجتمعه وقضاياه الكبرى، ويساعد على تطويره وتعديل سلوكه، لذا فلا يكفي أن يكون عاكساً للواقع فقط، بل يتوجَّب عليه نقده، وتقديم آرائه، أملًا في تغييره نحو الأفضل، لذا فقد وجدنا الشاعر الأندلسي – في ضمن هذه المدَّة – يحاول تقصِّي ظاهرة التفكُّك الأُسَري التي كانت تستفز خياله وأفكاره، ممَّا جعله يوجِّه سهام نقده لها، في محاولةٍ لتجنيب المجتمع المآسي والأمراض الإجتماعية، وتوجيه مساره نحو وجهته الصحيحة. حاول البحث عبر دراسته تلمُّس أثر هذه الظاهرة، والإحاطة بجوانبها في ضمن بنية النصوص الشعرية، متخذين من المنهج التحليلي أداةً للكشف عن تجلِّيات تلك الظاهرة في محاولةٍ لإستشفاف المعاني المكتنزة داخل تلك النصوص، والمترسِّبة في أعماقها، والتي تظهر بصورة جليَّة انعكاسات الجوانب الإجتماعية والإقتصادية، التي كان لها الأثر الكبير في إنتشار تلك الظاهرة التي أسهم الشعراء في نقدها عبر مقطوعاتهم الشعرية، بوساطة تصويرهم المشكلات الواقعية للأسرة، والظروف التي ساعدت على تشتيتها وتفريقها، وكيف أنَّها كانت تعيش وضعًا متأزِّمًا، لِمَا أصاب العلاقات القائمة بين أفرادها من تفكُّك وتشرُّد لأسباب عدَّة، يقف في مقدّمتها، الفقر الشديد، والسجن، والهجرة، والمشكلات

الداخلية الخاصة، فضلاً عن اختلاط العنصر الإسلامي بأهل الديار المفتوحة. فقد رسم الشعراء صورة واقعية للأسرة الأندلسية، إذ التفكُّك والتصدُّع ترك الأسرة تتشظَّى أمام أعين الأبوين، من غير قدرة على تغيير أو فعل شيء يرمِّم ما انهدم من بنائها، فالخطوب قد حاصرتهم من كلِّ حدبٍ وصوب، فصدَّعَت روابط الأُسرة ومرتكزاتها التي عليها تستند، والتي بانهيارها وتصدُّعها يعيش المجتمع على شفا جُرُفٍ هارٍ. وقد أبرزت الدراسة ما انطوى عليه الشعر الأندلسي – في ضمن تلك الحقبة – من نضوج فني أهَّلَهُ لأَن يكونَ أنموذجًا لدراستنا، كما أبرزت وعيًا فنيًا مكتنزًا لشعراء الأندلس في التعبير عن تجاربهم الواقعية، والتي شكَّلَت صدًى للأحداث التي صوَّرَتها مقطوعاتهم الشعرية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه، وبعد:

إن الأدبَ الأندلسيَّ يمثِّل جانبًا مُشرقًا في أدبنا العربي، بما يمتلكه من سماتٍ فنِّيَّةٍ مُبتَكَرَةٍ، وصُوَرٍ فاتنةٍ، وموضوعاتٍ مختلفةٍ، ولا سيما الشعر، بوصفه المرآة التي تعكس واقع الحياة الأندلسية بكل تفاصيلها، وتعدُّ دراسة مجتمع ما بوساطة نِتاج شعرائه كشفًا لحقائق غامضة من تأريخ أي أمَّة من الأمم، وذلك لأن الشاعر يعبر عن تفاصيل حياة مجتمعه، ويحاول تنظيمها برؤيته الفكرية، وموهبته الفنية.

إنَّ طبيعة الدراسة تقتضي البحث عن ظاهرة التفكُّك الأسري التي كانت تستفز خيال الشاعر الأندلسي وفكره، وذلك لشدَّة حسّاسيّته لمواقف وتجارب الحياة التي تحيط به، والتي تجعله يوجِّه سهام نقده لها، سعيًا منه لترسيخ دعائم الإنسان وبنائه بناءً سليمًا، ومحاولة إبعاده عن الرذائل وما يعقبها من مآسٍ وأمراضٍ اجتماعية، لذلك كان يجب أن نتحرَّى مواطن تلك الظاهرة فيما توافرَ من دواوين الشعر الأندلسي في ضمن مدَّة دراستنا، ونحلِّل أبياتها في محاولة لتقصِّي مساوئ تلك الظاهرة على نفوس أبناء المجتمع، بما فيهم الشعراء، على ما يتوافر لدينا من آلات نقدية.

إعتمد البحث في دراسته على المنهج التحليلي، للكشف عن تجلّيات ظاهرة التفكُّك الأُسَري في النصوص الشعرية، وقد عملت فيه على مساحة النص الداخلية، ومساحة السياق الخارجي له، متمثِّلًا بالقضايا الإجتماعية، والثقافية، والنفسية التي تتعلق بالشعراء، وكذلك القضايا التاريخية المتعلقة بمدَّة البحث، وهو منهج يعتمد على قاعدة النصوص المُسْتَشْهَد بها لتعزيز الأحكام والنتائج التي تتوصل إليها دراستنا في هذا البحث، كما أنَّه يقوم على أساس استشفاف معاني تلك النصوص، المترسّخة في أعماقها، والتي تُظهر بصورة جليَّة انعكاسات الحياة الاجتماعية، والاقتصادية التي أثَّرت في إنبثاق تلك الظاهرة.

جاء البحث مشتملًا على مبحثين مسبوقين بمدخل نظري وتعقبهما خاتمة، اشتمل المدخل النظري على ثلاثة محاور، تناول المحور الأوَّل الحديث عن عصر الخلافة، وتناول الثاني التفكُّك الأُسري (المفهوم، والأسباب، والنتائج)، وتناول المحور الثالث أثر التفكُّك الأُسري في الشعر الأندلسي، أمَّا المبحث الأول فقد تناول أشكال التفكُّك الأُسري في شعر عبد الملك بن إدريس الجزيري، في حين تناول المبحث الثاني أشكال التفكُّك الأُسري في شعر إبن درَّاج القسطلِّي، ثمَّ كانت الخاتمة التي أوجزت أهم النتائج التي توصَّلَ إليها البحث، ثمَّ قائمة بأهم المصادر والمراجع.

مدخل

تعد الدولة الأموية في الأندلس إمارة إسلامية أسَّسَها عبد الرحمن الداخل عام (١٣٨هـ) في الأندلس وأجزاء من شمال أفريقيا، وكانت عاصمتها قرطبة، وتحوَّلت إلى خلافة بإعلان عبد الرحمن الناصر نفسه في عام (٣١٦هـ) خليفة قرطبة، بدلًا من لقبه السابق أمير قرطبة[١]، وقد استمرَّ عصر الخلافة رسميًا حتى عام (٤٢٢هـ)، إذ سقطت الخلافة بسبب تنازع الأمويين فيما بينهم على تولّي السلطة، ما أدَّى بعد سنوات من الإقتتال إلى تفكُّك الخلافة إلى عدد من الممالك المستقلَّة.

شهدت الثقافة الأندلسية – في ضمن تلك المدَّة – نهضة شاملة، تواشجت مع ظروف الأندلس التي ساعدت على تشكيلها، فالوحدة، و الاستقلال، والأمن،

والرَّخاء، والتحضُّر، والرُّقي، كلُّ ذلك أسهم في تكوين شخصية أندلسية علمية مستقلَّة إلى حدٍّ كبير[٢].

كما شهد الأدب الأندلسي – الشعر تحديدًا – نهضة عظيمة، من ناحية الأفكار، واللغة، والتصوير الشعري، ثم ما يتصل بدور الشعر بوصفه فنّاً يعبِّر عن الحياة، ويؤدِّي وظيفة حيوية فيها[٣].

أ-التفكُّك الأُسري _ المفهوم، والأسباب، والنتائج.

الأسرة هي وحدة التكوين الأولى للمجتمع، بتماسكها يتحقق تماسك المجتمع، وبتصدُّعها يتصدَّع المجتمع ويتفكَّك، لذا فهي تعد ((أول نظام إنساني على وجه الأرض، فهي عبارة عن مجتمع صغير متكامل قديم قِدَم الإنسان، وتتكون الأسرة من مجموعة أعضاء يعيشون تحت سقف واحد، يتحمَّل مسؤوليتهم الأب، فيوفِّر لهم حاجاتهم المادية والوجدانية التي تساعد على استمرار هذا الهيكل الأسري ولكن قد توجد في حياة الأسرة فترات حرجة تتعرض لها روابط الأسرة بالتفكُّك والضعف، والعوامل التي تؤدي إلى هذا الضعف قد تكون عوامل اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، فتنهار بها وحدة الأسرة وتتصدَّع نتيجة لتلك الأجواء المتوتّرة ... فإذا كان جو الأسرة أو الظروف المحيطة بها مشحونة بالتقلبات والتغيرات المفاجئة كانت كفيلة بأن تهدِّم هذا الكيان الأسري، وصدع هذا الكيان يؤدي بلا شك إلى شقاء أفراد الأسرة، فيتحمَّل كل شخص نصيبه من الحزن مهما كان عمر ذلك الفرد صغيرًا أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثى))[٤]

لذا فإنَّ مفهوم التفكُّك الأسري يشير إلى خلل يصيب العلاقات والروابط القائمة بين أفراد الأسرة نتيجة عجز أحد أطرافها الثلاثة (الأب – الأم – الأبناء) عن القيام بالدور المُناط به على نحو سليم، بأسلوب إرادي أو غير إرادي[٥] وهذا التفكُّك يعود لأسباب عدَّة لعلَّ أهمها: السجن، والهجرة، والبطالة، والفقر، ووفاة أحد الأبوين أو كليهما، وفقدان الأسرة للنموذج الفاعل القائم على سدِّ احتياجاتها وحلِّ مشكلاتها، وحالات النزاع والشجار بين الأبوين[٦] وعدم التواصل الجنسي بين الزوج والزوجة الذي يُوَتِّرُ العلاقات داخل الأسرة[٧] كما تؤدِّي الفتوحات الإسلامية أثرًا كبيرًا في

خلخلة الرباط الأسري؛ وذلك لما يسبّبه اختلاط العنصر الإسلامي بأهل الديار المفتوحة، وما يولّده ذلك من أثرٍ في نقاءِ الأسرةِ وصفاءِ النَّسَب[٨].

كُلُّ ذلك أو بعضٌ منه يعدُّ المِعْوَلَ الذي يُهَدِّمُ الأُسَر ويُفَكِّكُهَا، والشرارة التي بوساطتها تنطلق الحرائق داخل البيت الأُسَرِي.

ويحدث التفكُّك من الناحية الإجتماعية الشقاق والصراع في العائلة حتى لو لمْ يُؤَدِّ هذا الشِّقاق والصِّراع إلى انفصام روابط العائلة[٩].

ويؤدِّي التغير الإجتماعي أثرًا كبيرًا في تفكُّك الأسرة، بوصفه السبب الرئيس لتفاقم المشكلات في المجتمع، فمع ظروف الحياة المتبدِّلة يرغب الكثير من الناس بتوسيع ثرواته تماشيًا مع تلك الظروف والمتغيرات، ما يُبلور للصراعات الإجتماعية[١٠] لذلك ونظرًا للتغيرات التي طرأت على بنية المجتمع الأندلسي في تلك المدَّة، وبما أن الأسرة هي وحدة التكوين الأولى للمجتمع، فقد أصابت تلك التغيرات الأسرة الأندلسية بمقتل، وذلك بما أحدثته في كيانها من خلخلة وشرخ وتفكُّك نفسي وإجتماعي. ويعد الشاعر الشريف الطليق[١١] خير مثال على وجود هذه الظاهرة إذ إنه ((كان يحب جارية نشأت معه في بيتهم، وكان يظنُّ أنَّها ستكون من نصيبه غير أنَّ أباه استأثر بها دونه، فداخلته من ذلك غيرة شديدة جعلته يفقد توازنه ويُقدم على قتل أبيه، فاجأه في بعض خلواته مع تلك الجارية نفسها فقضى عليه))[١٢].

وكذلك محاولة عبد الله التخلُّص من أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر وأخيه الحكم وقتلهما، ولكن مؤامرته باءت بالفشل، ليتم إلقاء القبض عليه وذبحه على يد أبيه يوم عيد الأضحى سنة (٣٣٩ هـ)[١٣].

ب- التفكُّك الأُسري وأثره في الشعر الأندلسي.

وقد تمثَّل الشعراء تلك الظاهرة، وانعكست في نصوص قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية، فاستطعنا بوساطتها فهم كيف كان التعايش بين أفراد الأسرة الأندلسية، لِعِلْمِنَا بأنَّ ((الأسرة الواحدة هي مثال عن الكثير من أُسَرِ المجتمع الواحد))[١٤] ولقد أشارت إحدى الباحثات إلى وجود هذه الظاهرة، مؤكدةً أنَّ الشعراء استطاعوا التعبير

عن مشكلات الكيان الأسري والظروف التي ساعدت على تشتيته وتفريقه في قصائد صَوَّرَتْ هموم الأُسَر وإحساسات التغرُّب والتشرُّد(١٥).

ونستطيع أن نطالع تمثُّلات هذه الظاهرة بوساطة نتاج شاعرين كبيرين من شعراء عصر الخلافة، إذ أفرزتها الظروف التي عاشها كلاهما والتي كانت نتائجها سيئة على أسرتيهما، وهذان الشاعران هما:

عبد الملك بن إدريس الجزيري (ت ٣٩٤هـ)

إبن درَّاج القُسطُلّي (ت ٤٣١هـ)

المبحث الأول

أشكال التفكُّك الأُسري في شعر عبد الملك بن إدريس الجزيري.

نبدأ مع أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري أحد الشعراء المنكوبين في حياتهم على يد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي أودعه السجن عدَّة مرات، ونكبه من بعده ابنه المظفَّر الذي تولَّى الحجابة بعد أبيه(١٦) لقد كانت آثار تلك المحنة واضحة جليَّة في ثنايا شعره على الرغم من قلَّة النتاج الذي وصلنا له (١٧).

يذكر في هذا المعنى من قصيدة قالها في سجنه وأرسلها إلى أسرته:

سُدَّتْ سَبيل الوَصْلِ وانْحَلَّتْ عُرَى أسبابِهِ بحُلُولِ يومٍ أَزوَرِ(١٨)

تتشكَّل الصورة من خلال تقنية التجسيم الاستعاري (سُدَّتْ سبيل الوَصْل)، (وانْحَلَّتْ عُرَا أسبابهِ) (يومٌ أزوَر) وهي كلُّها تدفع بالصورة إلى مقصديَّةٍ واحدةٍ، أرادها الشاعر في ذلك التشكيل، فالسُّبُل قد تقطَّعَت دون وصالهم، فلم يعد بالإمكان العيش في الحياة على نسق طبيعي، وذلك بسبب السَّجن الذي فرَّقَهُم وشَتَّتَهُم على دُروب الحياة، ومن ثَمَّ أفرَزَ انحلالاً أُسَرِيّاً تفكَّكت على إثرهِ الروابط الأسريَّة، فلم تعد قادرة على التماسك والالتحام تحت سقف ثابت ورصين.

وقد جاءت الصورة مزدحمة بأصوات الصفير (السين – الصاد – الزاي) ((وينتج الصفير عن قوة الإحتكاك الناتجة عن التضييق الكبير لمجرى الهواء في أثناء نطقها ... وعندما يُجبر الهواء على التحرُّر ... يُعطي أزيزاً مسموعاً هو ما اصطُلِحَ على تسميته بالصفير))(١٩) وكأن الشاعر أراد أن يُسمعنا أصوات أسرته

التي عَلَتْ بعد أن أصابَهَا الشَّرخ والتفكُّك ومعلوم أنَّ الأُسَر المتماسكة لا تكاد تسمع لها صوتًا، كما تساوقَ ذلك مع توظيف الشاعر لحرف الروي (الراء) الموحية بالتكرار والاستمرارية لتلك الحالة.

ويستمر الشاعر في تصوير مأساته:

صَفِرَتْ يَدَاهُ كَمْ شَجَا مِنْ طِفْلَةٍ صَفْرَاء تُنْسَبُ في بَنَاتِ الأَصْفَرِ[٢٠]

تتشكَّل الصورة في النص الشعري من عدَّة أساليب تضافَرَتْ جميعها لإنتاج الدلالة، فمن تلك الأساليب توظيف الشاعر للون الأصفر الذي أحتلَّ مساحةً واسعةً في تشكُّل الصورة جمالياً، (صفرت – صفراء – الأصفر) واللون الأصفر يوحي بالتغيُّر[٢١] وفقدان التماسك والتخطيط[٢٢] فهو إذن يحمل بعداً رمزيّاً بتغيُّر الحال، وعدم تماسك الأسرة، وعدم التخطيط الصحيح والبَنَّاء لرب الأسرة نتيجة الغياب الطويل، ليؤول نحو التفكك والتصدُّع الأسري.

وجاء الدَّال اللفظي (بنات الأصفر) كناية عن الروميَّات، وهي كناية عن موصوف، في إشارة إلى زوجته الروميَّة الأصل، وهي كما يصوّرها (طفلة) قلقة تساورُها الأحزان والهموم، ودَلَّت (كم) على أن تلك الأحزان والهموم مستمرة وكثيرة، فالزوجة تمرُّ بأزمات أُسَريَّة تبعث على الضياع، والتشرُّد، والتفكُّك الذي ركَّز الشاعر على تمثُّله إيحائيًّا في نصوصه الشعرية.

فضلًا عن ذلك جاءت تقنية ردّ الأعجاز على الصدور، (الأصفر – صفرت) مؤكِّدةً تلك الحالة، كما مَثَّلَ التكرار اللفظي في توالي المفردات (صفرت – صفراء – الأصفر) نمطًا فنيًا ينتهي إلى جناس الإشتقاق، مُشَكِّلًا منه إيقاعًا موسيقيًا حزينًا، فضلًا عن كثرة حروف المد التي زادت الصورة ثقلًا، وهمًّا، وقلقًا.

وجاءت الأبيات الآتية متعلقة بالبيت السابق:

قَدْ قَسَّمَ التّوْدِيعُ لَحْظَ جُفُونِهَا قِسْمَيْن بَيْنَ مُعَرِّضٍ وَمُعَبِّرِ

وتَرَقْرَقَتْ عَبَرَاتُهَا فَشَغَلْنَهُ عَنْ شُغْلِهِ بِسَنَا الوُجُوهِ الحُسَّرِ

وأراهُ عرفانَ النَّوى من حُسنها مرأَى منَ الموتِ الزُؤَامِ الأَحمَرِ

أَنَّى لنا بالوَصْلِ إلَّا في الكَرَى لو أَنَّ وَصْلَ النَّوْمِ لمْ يَتَعَذَّرِ[٢٣]

نتيجة للغياب الطويل للزوج عن أُسرته تحدث مشكلات أسرية مادِّية وعاطفية كما أسلفنا، وهذه الصورة تستجلي تلك الأمنيات لدى طرفي الأسرة الرئيسَين الزوج وزوجته، ف(التوديع) أحدث الشرخ أولًا، وبإثره حصل الإنقطاع الكُلِّي بينهما، فماذا أنتج ؟ (قَسَّمَ لحظَ جفونها قسمين) إذن هذا الجناس (قسَّم قسمين) أفاد التفكُّك النَّفسي والإجتماعي أُسَرِيًا، فماذا يعني أنْ تنقسمَ لحظاتُ الجفونِ على قسمين، كناية عن السهر الطويل، وهي لماذا تسهر لو كانت تعيش حالتَي إستقرار نفسية واجتماعية، إنَّهَا تفكِّر في مصير الأسرة مادِّيًا، وتكادُ تحترقُ على ليالي وصالٍ افتقَدَتْها عاطفيًا، خصوصًا وهي الطفلة الرومية، الطفلة التي تعيش مأساتها بين التعريض والتصريح، فماذا تراها فاعلة تجاه هكذا تصارُع، (وترقرَقَتْ عَبَرَاتُها) وهكذا المرأة دائمًا سلاحُها البكاء، وليس سوى البكاء لها عزاء، لكلِّ تلك المكابدات، وحالة الزوجة تلك كانت شغل الزوج الشاغل، وهو العاجز القاصر عن فعل شيء، وكأنَّهُ يستشعرُ وجهَهَا وقد أضحى حاسرًا عن ماء الحياء، فقد سَقَطَ بفعل تدافُع الأزَمات عليها، لتبدأَ بعدَها أمنيات الزوج تجاه زوجته فائقة الجمال، فالبُعد قد اغتَصَبَ حَقَّهُ في مداعبة ذلك الجَمال، وتركَهُ في مجابهةٍ مع (الموت الزُّؤام الأحمر)، ونلاحظ أنَّهُ يذكر الموت أو ما هو أشدّ منه في التعبير عن معاناته وآلامه وحرمانه من جَمَالها، ولكنَّ الذي يبعث على الأسى هو أنَّ ذلك الوصال الباعث على الإستقرار غير متوافر في الحقيقة وليس إلّا النَّوم يجمعه به، ولكن حتى هذا الوصال المُتَمَنَّى من قبل الزوج قد تعذَّرَ، فأي حالة إحباط قد تمثَّلَتْهَا هذه الصورة التي رُسِمَتْ بدِقَّةٍ عاليةٍ، والتي أفرَزَتْهَا الغيابات الطويلة لربّ الأسرة، عن زوجته الصغيرة وأُسرَتِهِ والذي أدَّى بالأُسرةِ إلى أنْ تنحدرَ نحو التفكُّك والتصدُّع الذي أصاب كلّ فرد منها بنصيب.

ويقول مخاطبًا ولده:

عِلْقي النَّفِيسُ الخطر أفديهِ من الـ خَطْبِ المُلِمِّ بِكُلِّ عِلْقٍ مُخْطِرِ[٢٤]

تأخذ الصورة الشعرية بالتشكُّل مع تقنية الإضمار الإيقاعي الذي طغى على البيت والذي أوحى بالسكونية من جانب رب الأسرة الذي غدا قاصرا عن توجيه أسرته، ومن ثَمَّ فإن هذا القصور الأبوي نتيجة السجن الذي أبعده عنهم، إنسحب

إلى الأسرة فشكَّلَ قصوراً أسرياً عامّاً لدى أفرادها كافَّة تبعًا لغياب الموجِّه والمربّي، كما لجأ الشاعر الجزيري فضلًا عن ذلك إلى استعمال تقنية (التدوير) إذ شطر الدَّال اللفظي (الـ خطب) شطرين، شطر أضحى في نهاية الصدر، وآخر تصدَّر عجز البيت، وهذا الإنشطار للدَّال اللفظي أدَّى معنى إنشطار الأسرة وتفكُّكها وتصدُّعها، فالخطوب قد ألمَّت بأسرة الشاعر فتركتها منثورة على دروب الحياة التي لا ترحم عزيز قوم ذل.

وربما أراد الشاعر من استعماله لتقنية التدوير الوصول بأسرته إلى مرتبة التماسك، والإنسجام، والتواؤم، فقد كان يستشعر – رغم البعد – ذلك الشَّرخ الحاصل فيها قسرًا ويتألَّم بشدَّة، لذلك فهو لمَّا لم يستطع أن يفعل شيئاً أمام غوائل الزمن وصفعاته، وهو الفنَّان الشَّاعر، فقد صوَّرَ أمنياته المؤجَّلَة شعريًّا، بوصفها معادلًا موضوعيًّا لخساراتِهِ في الحياة، كنوعٍ من التعويض، والشَّاعر حين يعمد ((إلى أُسلوب ما، فإنَّه يرى هذا الأُسلوب قادرًا على حمل ما يريد أن يعبِّر عنه في رؤيته للحياة والوجود))[٢٥] لذلك نجد الشاعر في هذا النص يصوِّر أمنياته بطريقة فنِّيَّة إيحائية، فداء أبنائه من الخطوب المُلِمَّة بهم بكلِّ غالٍ ونفيس، في إشارة إلى الإنحدار الذي أصابهم، والتفكُّك الذي اكْتَوَوا بناره، وإلا لا داعي لكلِّ تلك المساحة الواسعة من النَّصائح الموجَّهة لأبنائه في قصيدته الرَّائية تلك.

ويقول في ولده أيضًا:

قدْ ذُقْتَ يُتْمَ أبيكَ قبلَ وفاتهِ إلَّا تَعِلَّـــةَ مُرْتَجٍ مُتَنَطِّرِ
وَرُزِئْتَ عُمْرَ أَخِيكَ فهوَ لحالهِ كالغابرِ المُودِي وإنْ لمْ يَغْبُرِ
فانْدُبْهُمَا حَيَّيْن وابْكِ عَلَيْهِمَا فكلاهُما مَيـــتٌ وإنْ لمْ يُقْبَرِ
إبْكِ الغَرِيبَيْنِ اللذَيْـنِ تَبَدَّلَا بالدَّارِ والأَهْلين أَقصى الأَدْوُرِ
وابْكِ الفَقِيدَيْنِ اللذَيْـنِ تَوَارَيَا عن مُخبرٍ خُبْراً وعن مُسْتَخبِرِ
وابْكِ الشَّجِيَّيْنِ اللذين طَوَتهُمَا حالُ الفراقِ على الجحيمِ المُسعَرِ[٢٦]

تأخذ الصورة بالتشكُّل عبر أسلوب التكرار الرأسي للفعل (إبكِ) الذي كان منطلقًا للشاعر للتعبير عن عمق المأساة التي جثمت على أسرته، وتحديداً ولده الذي فقد والده وأخاه، اللذان غيبهما السجن عنه، وتركاه في مجابهة كبيرة مع

الحياة، إذ أُنيطت به مسؤولية قاسية تجاه أسرته، وهذا التكرار يعزّز رسم الصورة الشعرية ويشحنها بتناغم وتناسق موسيقي، ولا يخفى ما تؤدّيه الأفعال المتكرّرة في أبيات متلاحقة من دلالة السُّرعة في تلاحق الأحداث.

وهو لكي يؤكّد حالة التشرُّد والتفكُّك والضَّياع الذي أصاب أسرته، وَظَّفَ الأسلوب الاستعاري التجسيدي (ذُقتَ يُتمَ أبيكَ)، و(رُزِئتَ عُمرَ أخيكَ) وكلاهما (اليُتم والعمر) من المعنويات، فهي ليست أشياء لها ذوق فتُذاق، ولا هي أجرام مادية فتُفقَد، والشاعر بتوظيفِهِ هذه التقنية الفنية أراد أنْ يُصَوِّرَ للمتلقي عمقَ المأساةِ التي يمرُّ بها إبنه، فليس من السَّهل إستيعاب أنْ يكونَ الولدُ يتيمًا في حياةِ والدهِ، ولا أنْ يشهدَ وفاةَ أخيهِ وهو بعدُ حيًّا يُرزَق، هذه الأحداثُ يستحيلُ وقوعها في حالةِ كونِ الأسرة متماسكة، ومستقرَّة، وتعيشُ حياةً طبيعيةً، ولكنَّه يحدث متى ؟ يحدثُ وقتَ انشراخِ الأسرةِ وتصدُّعِها وتفكُّكِها، وهذا ما أرادَ الشاعرُ تصويرَهُ للمتلقي ولكن بطريقة توظيف لغة شعرية إيحائية دالَّة، وهو لكي يؤكّد تلك الأحداث بطريقة أكثر عمقًا، نراه يوجّه ولده عبر الأسلوب الطَّلبي الأمري مجازيًّا (فانْدُبهُمَا حَيَّيْن)، فالنَّدب والرِّثاء لا يكون إلّا للميت، وأطلقه الشاعر مجازًا مرسلًا على الحَيَّيْن (الأب والأخ) على سبيل المبالغة وتعميق الصُّورة والتخييل.

وجاء توظيف الشاعر التضاد بالصُّورة (الغابر – لم يغبر) (ميت – لم يقبر) توحي بالفجوات الكبيرة، وتدلُّ على مسافات التوتُّر الحادَّة التي وصلتها الأسرة.

كما أدَّتْ الدَّوال اللفظية أثرًا بارزًا في إضفاء أبعاد إيحائية للصورة (الغريبين – الفقيدين – تبدَّلا – توارَيَا – طوتهُما – الفراق – الجحيم المُسعِر) فالغربة، والفقد، والتبدُّل، والتواري، والطوي، والفراق، كلُّها ألفاظ إيحائية دالَّة على التخلِّي والتنصُّل عن تحمُّل مسؤولية الأسرة – نتيجة الغياب الطويل – والتي تؤدي إلى عدم توفير الحاجات المادِّيَّة والوجدانيَّة مما يساعد على خلخلة تماسك الهيكل الأُسري وتفكُّكه وتشظيته ومن ثَمَّ تعيش الأسرة حياة (الجحيم المُسعِر).

ويقول في إبنته الوحيدة:

واذْكُرْ بِسِرِّ تَحِيَّتِي من لمْ أبُحْ لكَ باسمهِ ولعلَّةٍ لمْ يُذْكَرِ
مِمَّنْ أوَدُّ لهُ الرَّدَى لا عن قِلىً ويَوَدُّ لو أَبْقَى بقاءَ الأدهُرِ[٢٧]

في هذا النص يبعث الشاعر بتحايا سرّيَّة جدّاً إلى إبنته التي لم يَبُحْ بإسمها، لعلَّةٍ مجهولة[٢٨] فنراه يخاطبها بضمير المذكَّر زيادة في الكتمان، موظِّفًا أسلوب التضاد بالصورة الشعرية، (الرَّدى – البقاء) بين صدر البيت وعجزه، فهو يودُّ لإبنته الهلاك لا بغضاً ولا كراهيةً ولكن لأجل أن تحيا، إنه موت لكن بنكهة الحياة، والذي دفعه لتلك الأمنيات الخوف عليها من تقلبات الدهر ولأجل ألا تنحرف وهي الوحيدة التي لا يريد أن يرى أو يسمع فيها ما يسوؤه، بينما في الجهة المقابلة البنت تودَّ لأبيها أن يُعَمِّرَ أبد الدَّهر في سجنه، هي حياة ولكن بنكهة الموت، ويا للعجب كيف لأبٍ أن تكون أقصى أمانيه هلاك فلذة كبده !! والأعجب أن تأتي أمنيات البنت الحنون لأبيها حياةٌ في السجون، إنه التفكك الذي يترك الأسرة تتشظَّى أمام أعين الأبوين بلا قدرة على تغيير أو فعل شيء يُرمِّم ما انهدَم، فضلًا عن ذلك فإنَّ الشاعر وَظَّفَ جناس الإشتقاق في الصورة (أودُّ ويودُّ) و (أبقى وبقاء) ليؤكِّد الصُّورة ويعزِّزُها ويُعمِّقها.

المبحث الثاني

أشكال التفكُّك الأُسري في شعر إبن درَّاج القسطلّي

كما نستطلع آثار تلك الظاهرة مع شاعر أندلسي كبيراً ايضاً، وهو واحد من الذين عضَّهم الفقر بنابِهِ، ومن الذين نكبتهم أحداث الأندلس المتقلِّبة والفتن المتسارعة التي لم تترك لجسد الأندلس أن يضمِّد جراحه، فكلَّما التأم لها جرح، سارع لها أحدهم فنَكَأَهُ، وهذا الحال أثَّرَ كثيرًا على شاعرنا إبن درَّاج فانعكست آثاره على قصائده، لذا نراه يصوِّر حالة البؤس التي لَفَحَتْ أولاده الأحد عشر بقوله:

أَخُو ظَمَأٍ يَمُصُّ حَشَاهُ سَبْعٌ وأَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمُ ظِمَاءُ
كَأَنْجُمِ يُوسُفٍ عَدَداً ولكنْ بِرُؤْيا هذهِ برِحَ الخَفَاءُ
خُطُوبٌ خاطَبَتْهُمْ مِنْ دَوَاهٍ يَمُوتُ الحَزْمُ فيها والدَّهاءُ
تَرَاءَتْ بالكواكبِ وَهيَ ظُهرٌ وآذَنَ فيهِ بالشَّمسِ العِشاءُ[٢٩]

ينطلق الشاعر بتشكيل صورته من التركيب الإضافي (أخو ظمأ) الذي جاء كنايةً عن الفقر الشديد، وهي كناية عن صفة، فالفقر أصبح ملازمًا للشاعر وملتصقًا به.

وجاءت الدلالة الفعلية (يمُصُّ) توحي باللهفة لإشباع الرغبات وإطفاء جذوتها المستعرة، فضلًا عمَّا توحي به صيغة المضارعة من معنى التكرار والاستمرارية للحالة، فالشَّاعر يصوّر مسؤوليته تجاه أحد عشر فردًا من أفراد أسرته كلُّهم عطاشى ينتظرون من يرويهم ويسدُّ رمقهم، لذلك فهو يستشعر وجوب رعايتهم وتوفير الإحتياجات اللازمة لهم، لكي يحافظ على إلتئام شمل الأسرة، ودوام تماسكها، ولكن هل استطاع ذلك ؟

لقد أحسن الشاعر في توظيف أسلوب التناص القرآني[٣٠] مع الآية الكريمة { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } [٣١] وهي إتّكاءة فنية مهمَّة عمَّقت دلالة الصورة، إذ ربط الشاعر بوساطتها بين معاناة كلتا الأسرتين معاً في بوتقة واحدة، ((فقد أثبتت رؤيا يوسف أنَّ حبالَ المودَّةِ بينَ الإخوةِ قد تنقطع))[٣٢] فتُصابُ الأسرةُ بالتصدُّع والتفكُّك، وهذا ما أراد الشاعر تصويره للمتلقي، بطريقة إيحائية، لأنَّ الغايةَ من التناص في العمل الفني هو إيصال معنى للمتلقي لا يستطيع الشاعر قوله مباشرة[٣٣] وقد تَسَاوَقَ في ذلك مع التشبيه التمثيلي (كأنجُمِ يوسُفٍ)، إذ ماثَلَ حالةَ أبنائِهِ بحالةِ إخوةِ نبي الله يوسُف في العددِ، والكثرةِ، والفقرِ الشَّديدِ، وفي التصدُّعِ والتفكُّكِ الأسري، لأنَّ أسرةَ نبي الله يعقوب كانت مفكَّكة يسود بين أفرادها الحقد والحسد والكراهية لبعضهم بعضًا[٣٤] لذا فقد جاءت فاعلية التناص في الصورة الشعرية كشفًا لحقائق غائبة وإيضاحًا لأُمور خافية.

ونرى أنَّ الشاعرَ عزَّزَ ذلك المعنى ورسَّخَهُ أكثر عبرَ توظيفِهِ لأسلوب الجناس (خطوبٌ خاطَبَتْهُمْ) وهذا التنوُّع الصَّوتي جاءَ تأكيدًا وتحقيقًا لذلك التماثُل.

لقد صوَّر حال أسرته والخطوب تحاصرها من كل حدب وصوب، خطوب تلاعبت بنواميس الكون فصدَّعتها وفكَّكت روابطها، في تصوير إستعاري عميق بعيد الغَور، خطوب أفقدَتْ الحزم والذكاء حياتهما، وأظهرت نجوم الليل وقت الظهيرة، وأشرقت شمس النهار وقت العشاء، فكيف بأسرته، فهو يماثل تشبيهياً بين أسرته ونواميس الكون وما أصابهما من جرَّاء فعل الخطوب التي قَلَبَتْ ظهر المجن لدى الأسرة فضلًا عن رواسخ الكون.

ووجد ابن درَّاج في سجن يوسف محطَّةً إستوحى منه معاني تشتمل على التفكُّك وتعطي إيحاءً بإنشراخ الروابط الأسرية كقوله:

وكُلُّهُمُ كيوسُــفَ إذ فداهُ من القَتلِ التَغرُّبُ والجـلاءُ
وإنْ سجنٌ حواهُ فكمْ حَواهُم سجونُ الفُلكِ والقَفرُ القَواءُ
فإنْ أَقْوَتْ مَغاني العزِّ منهُم فكَم عَمِرَتْ بهمْ بِيـدٌ خَلاءُ
وأَيَّةُ أُسوةٍ في الحُسنِ منهُ لإحساني إذا ارتُخِصَ الشِّراءُ![٣٥]

يسـعى الشـاعر إلـى تشـكيل الصـورة فـي الـنص الشـعري عبـر فاعليـة التشـبيه التمثيلـي الغنـي بـالظلال الموحيـة، عاقـدًا مقارنـة بـين أبنائـه ونبـي الله يوسـف، متخـذًا منـه أسـوة لأبنائـه فـي جملـة محـن كالغربـة، والهجـرة، والسـجن، والتشـرُّد، فالشَّـقاء يحاصـرهم مـن كـل اتجـاه، حتـى لقـد أصـبحوا أحـد عشـر يوسـفًا، كلُّهـم مـرَّ بأقسـى مـن تجـارب يوسـف وأشـد، فـإنْ سُـجن يوسـف مـرَّةً واحـدةً، فـإنَّهم أَلِفُـو سـجون السّـفن والقفـار، وإنْ كـان الجـب قـد حـواه مـرة، فلكـم قـذفت بهـم الحيـاة علـى صـحاريها القاتلـة، بعـد أن كـانوا يشـمخون بمرابـع العـز والأمجـاد، ليصـل إلـى أنَّ يوسـف كـان أسـوتهم فـي الضَّـياع والتشـرُّد وتفكُّـك الـروابط الأسـرية، بـدليل توظيفـه لتقنيـة التنـاص القرآنـي مـع قولـه تعـالى: {وَشَـرَوْهُ بِـثَمَنٍ بَخْـسٍ دَرَاهِـمَ مَعْـدُدَةٍ وَكَـانُوا فِيـهِ مِـنَ الزَاهِـدِين}[٣٦] وهـي إشـارة إلـى إخـوة يوسـف الـذين بـاعوا أخـاهم إلـى التُّجَّـار بعشـرين درهمًـا وتقاسـموها درهمـين درهمـين[٣٧]، فهـي دلالـة رمزيـة للإنسـلاخ والتفكُّـك الأسـري وتصـدُّع الـروابط الأسـرية بـين الأخـوة نتيجـة الفقـر والهجـرة التـي أودت بكـل مـا مـن شـأنه أن يقـوِّي تلـك الـروابط ويبعـث علـى تماسـكها، وهكـذا ((فالعمـل الأدبـي يـدخل فـي شـجرة نسـب عريقـة وممتـدة تمامـاً مثـل الكـائن البشـري، فهـو لا يـأتي مـن فـراغ، كمـا أنـه لا يفضـي إلـى فـراغ، إنـه نتـاج أدبـي لغـوي لكـلِّ مـا سـبقه مـن مـوروث أدبـي، وهـو بَـذرة خصـبة تـؤول إلـى نصـوص تنـتج عنـه))[٣٨] وهـو لكـي يؤكـد ويعـزز المعنـى فقـد أكثـر مـن اسـتعمال (كـم) الخبرية الدالَّة على تكرار الشيء وإستمراريته وشيوعه.

ويصوِّر ابن درَّاج في الأبيات الآتية تشرُّد أسرته قائلاً:

ولا كَبَنِي سبيـلٍ شَرَّدَتْهُمْ عن الأوطانِ قاضيةُ القضاءِ
عواصف فتنـةٍ غَمَّتْ بِغَيمٍ بَوارِقُهُ سُيُـوفُ الإعتداءِ
فأَصْعَقَهُمْ بِراعدةِ المَنـايا وأَمْطَرَهُمْ شَآبِيبَ الفَنـاءِ

وَطافَ عليهِمُ طُوفان رَوعٍ أَفاضَ بِهِمْ إلى القَفْرِ الفَضاءِ(٣٩)

تشكَّلت الصورة الشعرية الحركية في هذا النص عبر سيلٍ من التشبيهات، تضافرت جميعها متآزرة في تشييد معالم مشهد واحد، هو مشهد التشرُّد والتصدُّع والتفكُّك الذي أصاب أسرة الشاعر، من جرَّاء تلك الفتنة التي نشبت في أخريات عصر الخلافة فغيَّرت معها كل شيء في بلاد الأندلس، فالعواصف العاتية دفعت بغيوم الخوف والفزع التي أبرقت بسيوف الغادرين، وأرعدت بالموت الزؤام، فكان المطر النتيجة الطبيعية لكلِّ تلك العواصف، والبروق، والرعود، لكنَّها كانت أمطارًا مُهلكة شديدة الغزارة، أحدثت طوفانًا مُرَوِّعًا، جَرَفَهُمْ إلى خارج الدّيار فأضحَوا مُشرَّدين تائهين يلفُّهم الضَّياع، في تناصٍّ مع الحدث الكوني الكبير الضَّارب في أعماق التأريخ البشري، وهو طوفان نوح الذي غيَّر معالم العالم، وهو حين أّراد إستيحاء صورة تماثل حالة أسرته لم يجد في مخيّلته أَقرب من أَبناء السَّبيل الذين تقَطَّعَت بهم السُّبُل، وصاروا من مستحقِّي الصدقات، كما وظَّف التشبيه المعكوس (بوارقه سيوف الإعتداء)، إيحاءً بأنَّ الحياة قد عاكسته في كل شيء، واحتلت البنية الإستعارية مساحة واسعة من الصورة وهي تمثِّل إنطلاقة نحو فضاء دلالي واسع، (عواصف فتنة)، و(راعدة المنايا)، و(شآبيب الفناء)، و(طوفان رَوع) وكلّ تلك التمثُّلات أوحَت بواقع مؤلم كانت تمرُّ به الأسرة الأندلسية، واقع فرض نفسه قسرًا على الأسرة فأكسَبَهَا ضياعًا وتشردًا وتفكُّكًا. كما شكَّلت الموسيقى الداخلية من الجناس (قاضية والقضاء)، (غمَّت وغيم)، (طاف وطوفان)، أثرًا بارزًا في إغناء المعنى وتعميق الصُّورة وإبرازها بشكل أوضح وأجلى.

ومن القصيدة ذاتها يقول:

ومَنْ يَسمَعْ بِأَنَّ نُجومَ ليلٍ هَوَتْ مع بَدْرِها فهُمُ أُولاءِ!(٤٠)

يشكل ابن دراج صورته مع الاستفهام التعجبي لكي يعطي المتلقي ايحاءً بدلالة عظم وحجم الكارثة الكونية الحاصلة، فنجوم تتساقط مع بدر مكتمل، هو دال رمزي للتصدع الكوني وتفكك روابطه، وهذا يماثل حالة أسرته التي عصفت بها المحن فجعلت روابطها تتصدَّع وتتفكَّك وتهوي بوصفها نواميس الكون الأشد

ثباتاً، والأكثر تماسُكاً، والشاعر كان واضحًا جدًا مع متلقّيه فلم يتركه مبحرًا خلف الدِّلالة، بل أظهَرَهَا على سطح النَّص وأرشَدَهُ إليها قائلًا: (فهم أولاء).

وله في تبدُّل الحال بين ماض متماسك وحاضر متصدِّع يقول:

فَكَمْ لِيَ بينَ اللَّوحِ واللّوح طائــرًا وأَوكـارُهُم في طائرٍ غيرِ ذي وَكْرِ

وكمْ أَسلَمُوا للعَسفِ والخَسْفِ من حِمًى وكمْ تَرَكوا للغَصْبِ والنَّهْبِ من وَفْرِ

وكمْ وَجَّهُوا وَجْهاً لبــارقَةِ الظُّبى وكمْ وَطَّنُوا نَحْرًا لِنافذةِ النَّحْــرِ

وكمْ أَقْدَمُوا بيــنَ المَنايا كما هَوَتْ فرائِسُ أُسْدِ الغابِ للنَّابِ والظُّفْــرِ

وكم بَذَّلُوا من وَجْهِ راعٍ وحــافظٍ وُجُوهَ المَنايا السُّودِ والحَدَقِ الحُمْــرِ[٤١]

تتشكَّل الصورة الشعرية في النَّص عبر عدَّة وسائل أسلوبية وظَّفها الشاعر لإثراء نصّه وتقريب تجربته وفكرته لوعي المتلقي، كالتقابل الإيحائي ويعني ((إتيان الشاعر بصورتين متقابلتين تصفان حالته في الماضي وحالته في الحاضر بكل ما فيها من سعادة وألم))[٤٢] فالشاعر يصوِّر لنا مشهدًا يراوح فيه بين ماضيه وحاضره ففي الوقت الذي يعرض صورًا دكناء الظلال عن حاضرٍ بشع، يعودُ بالزمنِ إلى الوراء ليسترجع أحداث رحلة تستفز ساحة خياله، أحداثًا عاشَها في النَّعيم حين كان بنو درَّاج سادة قُسطُلَّة، أسرة أرستقراطيَّة، مستمدّاً العون بأَدواته الفنية التي تعد مفاتيح يتسلَّل المتلقي منها إلى أفكار الشاعر ومعانيه، ليتمكَّن من كشف مضامينه الشعرية.

لقد استطعنا أن نجوب عالم الشاعر وتجاربه مع (كم) الخبرية، التي وظَّفها بوصفها دلالة على الكثرة والاستمرارية، وعاشت في نصِّه حياةً جدليةً، فتارةً تفتح آفاق الماضي البعيد، وتارةً تمخر عباب المستقبل لتكشف لنا المجهول، إنَّه وظَّفَهَا لتعيش حياةً جدليةً كحياته، حياة ماضية عامرة بالتَّرَف والرَّخاء، وحياة حاضرة يلُفُّها البؤس والفقر، فهاهُمْ أبناؤُهُ لا أوكار تأويهم، بعد أن كانوا يتنقلون بين الألواح الجميلة، لقد أسلَمُوا ديارَهُم للظُّلْم، والجَور، والذُّل، والهَوان بعد أن كانت حِمَى تغصُّ بالجمال، فأضحوا عرضةً للإغتصاب، والانتهاب بعد أن كانت أموالهم موفورة، وأعراضهم مصونة، إنَّ بارقات السيوف كانت تحكم بالموت على من يريد بتلك الأسرة سوءًا، فأين هي اليوم وأسرته تتلقى الطعنات القاتلة في ديار الإغتراب.

ويعقد الشاعر تشبيهًا تمثيليًا بين نظام أسرته ونظام الغاب، فكلاهما مشتّت قائم على التفكُّك لا التماسك، في إشارة خفيَّة إلى تصدُّع روابط أسرته وتفكُّكها، فهو يصوِّر واقع أبنائه تصويرًا تمثيليًا من واقع نظام الغاب، فكما أنَّ قطعان الفرائس تنتظر دورها في الموت تحت مخالب وأنياب الأسود المفترسة، كذلك أسرته أصبحوا فرائس تأكُلُهَا أسودٌ مفترسةٌ، أنيابُها و مخالبُها لا ترحَمْ.

وقَفَزَ التقابل الإيحائي مرَّةً أخرى بين (وجه راع وحافظ)، و(وجوه المنايا السُّود) فالرعاية والمحافظة دليل خلود وبقاء، وبالمقابل المنايا السُّود دليل انقطاع وانتهاء، فالشاعر هنا يستشعر مصيبته في أهله، فأُسرَتُهُ بعدَ طولِ تماسُكٍ وانتظامٍ، هاهيَ تعيشُ أمامَ أنظارِ ربِّ الأُسرةِ حياةَ التصدُّعِ والتفكُّك، وهاهو كلُّ شيءٍ يسيرُ نحوَ الهلاكِ (المنايا السود)، بعد أن فَقَدَت الأُسرة راعيها، والمحافظ على ديمومتها وحيويتها واستقرارها.

لقد ظلَّ الشاعر يندب حظَّه شكوىً من تلك الليالي التي برزت خصمًا لَدُودًا لأبنائه:

تَلَذُّ الليالي لَحْمَها ودِماءَها وطَعْمُ الليالي عِندَهُنَّ عَلاقِمُ(٤٣)

هكذا إذن عاشت تلك الأسرة حياة التفكُّك والضَّياع، فلَطَمَات الزمن لم تمهلْها، لقد تركت آثارها في أعماق ربّ الأسرة الذي راح يصوِّر تجربته بأسى، مُشكِّلاً صورته بوساطة فاعلية الإستعارة التشخيصية (تلذُّ الليالي) والتجسيدية (طعم الليالي)، فالليالي باتت متلذِّذةً بلحوم أبنائه ودمائهم، اللذين وقعوا فرائس تحت رحمتها، فلا نجاة من قبضتها التي أحكمت الطوق عليهم، فما عليهم سوى الإستسلام للأمر الواقع، واستمراء طعومها مهما كانت مرارتها لاذعة.

ويُلَوِّعُهُ الظلم الذي تمثَّل له في كل مكان وكأنَّه صار خليلًا:

ولا يدٌ غيرَ أيدي الظُّلمِ تعرفُنا ولا بغيرِ دُموعِ العينِ ننتَصِرُ(٤٤)

تأخذ الصورة بالتشكُّل عبر فاعلية الإستعارة التشخيصية (أيدي الظلم) ولا شك أن الشعور بالظلم مؤلم ومرير، لذا نجد الشاعر يتمثله متجسداً ومنتصباً في إطار الصورة الاستعارية، فهو يلطم بأكفِّه الجبارة وجوه الأبناء كل يوم، حتى باتت تعرف الطريق جيداً إلى أجسادهم التي استساغت وقع تلك الكفوف الضارية، لذا فلم يكن

أمامهم سوى مزيدٍ من الصبر مشفوع بسيلٍ من دموع سفحتها عيون مكسورة، كانت العزاء الوحيد لهم من ويلات ذلك الظلم القاتل.

لقد أدَّى التكرار الأفقي أثرًا بارزًا في توكيد الحالة، (لا) و (غير) اللّتين تكرَّرَتَا في صدر البيت وعجزه، بوصفها تعزيزًا وتثبيتًا وتقويةً لمقصدية الشاعر، كما جاءت الدلالة الفعلية (تعرفنا) و (ننتصر) تستفيد الحركية والاستمرارية لتلك الحالة.

ويقول أيضًا:

وتحتَ أجنحةِ الإشفاقِ حانِيةً (حُمْرُ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ)[٤٥]

إذ يُشكِّل الشاعر الصورة الشعرية عبر الاستعارة التجسيدية (أجنحة الإشفاق) التي أكسبت الصورة إيحاءً متجدِّدًا يُشْعر بالذل والمسكنة، والتي فرضتها عليه تجارب الزمان القاسية، فاجتَرَّ مآسيها أبناؤه وتجرَّعوا مرارتها، فانهدم حبل الأسرة وأفلتَ كل شيء من تحت يد الأب، فلا أحد يحنو عليه على الرغم من كلِّ الأصوات التي أطلقها، مقتبسًا أو مُضّمِّنًا صورته بيت الحطيأة المشهور:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرخٍ حُمرِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[٤٦]

اقتبس العجزَ منه، وقد تساوَقَت القصتان معاً في بيت شعر، فكما أن أسرة الحطيأة أصابها الذل، والهوان، والضياع بسبب سجن ربّ الأسرة وغيابه الطويل عن أسرته، فافتقروا من بعده وجاعوا، فكذلك آلت الأمور بأسرة الشاعر إبن درَّاج، فالفقر والجوع آفتان لا ترحمان.

ويقول إبن درَّاج على لسان زوجته:

قالَتْ وقَدْ مَزَجَ الوَداعُ مَدامِعًا بِمَدامِعٍ وَتَرائِبًا بِتَرائِبِ

أَتَفَرُّقٌ حتى بِمَنْزِلِ غُرْبَةٍ ؟ كَمْ نحنُ للأَيَّامِ نُهْبَةُ ناهِبِ

في كُلِّ يَومٍ مُنْتَوىً مُتَباعِدٌ يَرْمِي حُشَاشَةَ شَمْلِنا المُتقارِبِ[٤٧]

تبدأ الصورة بالتشكُّل مع فاعلية الاستعارة المَكنية التجسيدية (مَزَجَ الوداعُ) في تصوير للمعنويات بطريقة حسّيَّة، والوداع دلالة التفرُّق وترك الأسرة، وهو لكي يؤكِّد وقوع الفعل تحقيقًا جاء بـ (قد)، ثم وَظَّفَ جمعَ التكسيرِ (مدامع) لإظهار كثرة تلك الدموع التي وصلت حدَّ الامتزاج، والدموع أصدق تعبير عمَّا يختلج الإنسان من هموم وغموم، والمرأة تتسلَّح بالبكاء دائمًا، لأنهُ السلاح الأقوى لديها، أما الرجل

فعندما يصل لمرحلة البكاء، فإنَّ الهموم قد فاقت قمم الجبال، وأنَّ الظروف من حوله قد أحكمت عليه الطوق، وأسدَلَتْ ستائرَها دونَهُ.

تأخذ الزوجة إذن بلوم زوجها على تفريطه المستمر بأُسرته وتركه لهم مرارًا وتكرارًا، حتى وصل به الأمر أن يُفَرِّط بهم حتى في دار الغربة ويا للحسرة (أتفرق حتى بمنزل غربة؟) تساؤل خرج إلى معنى التفجُّع والتحسُّر على قوَّة الزمن التي فَرَضَتْ عليهم قانونَها، وآلَتْ بهم إلى كلِّ هذا الضَّياع، والتشرُّد، والتصدُّع لروابط الأسرة الواحدة، فبغياب ابن درَّاج عن أُسرته تصبح تلك الأُسرة نُهبةً لكلِّ ناهب وطامع، ويعمد الشاعر لإستعمال (كم) الخبرية التي تحمل دلالة كثرة الهم والقلق الذي أصابهم، وكذلك إلى كثرة المتربّصين به وبأُسرته، ولا يخفى ما للدَّال اللفظي (ناهب) من بُعد دلالي على إباحة كلِّ شيء في الأُسرة لأولئك الناهبين، والسبب غياب النموذج الرجولي عن الأسرة.

ويستمر الشاعر بتصوير حالة القلق على لسان الزوجة التي واصلت الشكوى والتذمُّر من حالة الأسرة التي عصفت بها أمواج الحياة فشَتَّتَتْ شملهم، وباعدتهم عن مواطنهم، لقد أضحى التوتُّر والقلق حالة طبيعية مُعتادة؛ وذلك لكثرة التنقُّلات بين المدن والبوادي، وقد جاء توظيف الشاعر للتضاد (متباعد – متقارب) وما فيه من مدٍّ وقصرٍ، يبرز إحساسًا بالضَّياع والتشرُّد والتفكُّك المستوطن في قلب الأسرة، فهذه التحوُّلات المكانية المتباعدة قد تركت في الأسرة شرخًا لن يندمل بسهولة، إذ فرَّقت شملَهُم ونثرتْهُم على دروب الغربة، تتلقَّفهم أيادي الفتن وتسحقُهُم بشدّة.

ويقول عن رغبته في جمع شمله بأُسرته:

كذا ينتهي البدرُ المُنيرُ إلى الشَّمسِ وتَمْتَزِجُ النَّفسُ الكريمةُ بالنَّفسِ
وتَلتَحِمُ الأَنسابُ من بعدِ بُعدِها وتَدنُو القُلوبُ المُوحِشاتُ إلى الأُنْسِ
ويُجمَعُ شَمْلُ الوصلِ من فُرقَةِ القِلى ويُرفَعُ بَندُ الوَصلِ من مَصرَعِ النِّكْسِ
كَجَمْعِ (سُلَيمانَ) النَّبيِّ بِصِهْرِكُمْ ذوي يَمَنٍ والشَّامِ والجِنِّ والإِنْسِ
وتَأليفِ (ذي القَرْنَيْنِ) إذ هُدِيَتْ له كَرِيمَةُ (دارا) دعوةَ الرُّومِ والفُرْسِ[٤٨]

تتشكَّل الصورة بوساطة جملة تضادَّات (البدر – الشمس)، و(بعد – دنو)، و(موحش – مؤنس)، و(يجمع – فرقة)، و(الجن – الإنس)، و(اليمن – الشام)، و(الروم – الفرس)، و(الوصل – القلى)، وهي كلُّها توحي بالتشتُّت والضَّياع، وتدلُّ على مدى التباين والتنافر في العلاقة الأُسرية، فالتَّضاد ((يجمع بين النقيضين، وكل منهما في أقصى الطرف من الآخر))[٤٩].

فضلًا عن إستثمار الشاعر لفاعلية الإستعارة التجسيدية (تمتزج النَّفس بالنَّفس)، و(تلتحم الأنساب)، و(تدنو القلوب)، و(يُجمع شمل الوصل)، و(يُرفع بند الوصل)، والتي أعطت إشارات فنّية إلى مدى الشَّرخ الحاصل في الأُسرة، وإتِّساع دائرة الخلاف بين الزوج وزوجته، فأُمنيات الإمتزاج، والإلتحام، والدُنُو، ولمِّ الشَّمل كلّها دلالات موحية على معنى الإنفصال بين الزوجين، بسبب الغياب الطويل لربّ الأسرة الباحث عن لقمة عيش يسدُّ بها رمق أسرته، فهو مضطر للإنسياق بحثًا عنها في ديار الغربة، وهنا يحصل الهجر، ويعني عدم الإتّصال الحَمِيمي بين الزوجين ما يؤدِّي إلى مُشكلات لا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا، فماذا تفعل امرأة متغربة زوجها عنها بعيد أمام غوائل الزمن، وأطفالها يتضَوَّرونَ جوعًا، هكذا يؤدِّي الفقر بالأُسَرِ يصدِّعها ويفكِّكها، ويتركها تعيشُ حياةَ الأمنيات المؤجَّلَة.

ويؤدِّي التناص التأريخي أثرًا كبيرًا في إستجلاء المعنى الذي من أجله إستجمع الشاعر تلك التناصَّات، فالتناص يأتي ((مجسّداً لبُعد من أبعاد تجربة الشاعر الشعرية، وذلك إما عن طريق تأكيد الحالة إذا كانت العلاقة بين أبعاد تجربة الشاعر والمُعطى التراثي علاقة تماثُل، وإما عن طريق نفيها إذا كانت العلاقة علاقة تنافُر أو تعارُض))[٥٠] فالشخصيات التي إستدعاها الشاعر في نصِّهِ الشعري كان شملهم مُفترِقاً ثم اجتمع وائتلف، مع أنَّ الحالة عند ابن درَّاج كانت مغايرة لما هي عليه تلك الشخصيات، إذ هو مفترق الشمل وأسرته مفكَّكَة تعيش حالة ضياع وتشرُّد، فالعلاقة إذن علاقة تنافُر وتعارُض، فهما على طَرَفَي نقيض، وهو حتَّى لمَّا وظَّفَ تقنية التناص جاء توظيفه دالًّا على الإفتراق والمُغايَرَة، لا على التوافُق والتماثُل، تساوقًا مع حالة التفكُّك الأسري في النَّص الشعري.

ويبدو أنه كان يأمل باجتماع شمله مع أسرته كما اجتمع شمل نبي الله سليمان مع بلقيس وانتهى بالزواج والإستقرار العائلي[٥١] وحتى ذو القرنين فهو الآخر إجتمع شمله وارتبط بعلاقة زوجية مستقرَّة مع (روشنك) إبنة ملك الفرس (دارا) والتي أهداها له قبل موته[٥٢]

فضلًا عن ذلك فقد أنتَجَ التشبيه التمثيلي معاني أثْرَت النص بوساطة ما أفرَزَته من صور متتابعة مُشابِهة ومُماثِلة لصور أخرى مُستوحاة من رحِم التأريخ الغابر، بنى عليها الشاعر آماله للرجوع إلى مَرَابِع الأسرة، لعلَّ بارقة أمل تهبُّ عليه أنسامُها، فترمِّم تلك التصدُّعات التي أصابت زوايا أسرته، فينتهي على إثرها البدر المنير إلى الشمس، وتمتزج النُّفُوس الكريمة، وتلتحم الأنساب بَعدَ البُعْد، وتأنَس القلوب المستوحشة بالقرب، ويجتمع الشمل بعد الإفتراق، وترتفع بنود الوصل بعد مصارع الإنتكاسات، وهذا ليس ببعيد، فـ (سليمان) عليه السلام وهو النَّبي قد تصاهَرَ مع (بلقيس) على الرغم من المسافات الشَّاسعة بينهما، و(ذو القرنين) جمَعَته حياة زوجية مع (روشنك) كريمة ملك الفرس على الرغم من بُعدِ المَسَاكِن، ولكن هل يا تُرى حَقَّقَ الشَّاعر طموحاته التي أخفاها خلف التناص الفنِّي ؟ وهل حَدَثَ له ما حَدَثَ لتلك الأُسَر الضَّاربة في عمق التأريخ والتي قامت على التماسُك، والإستقرار، والترابُط ؟ أم ظلَّت الشُّروخ والتصدُّعات تُمَزِّقُ وحدةَ الأسرة وتنثُرُهَا على مفارقِ أساليب الفتنِ والضَّياع ؟ سؤال كانت إجابته واضحة في أثناء دراستنا لنصوصه بالتحليل والدراسة آنفة الذكر.

الخاتمة

إجمالًا: لقد أثبتت النصوص الشعرية بأنَّ الأسرة الأندلسية – في ضمن مدَّة عصر الخلافة – كانت تواجه أزمة علاقة وضعف في التلاحم بين أفرادها، لأسباب كثيرة منها الفقر، والهجرة، والسَّجن، والبطالة، والإختلاط بين عناصر المجتمع، وعدم التَّواصل الحميمي بين الزَّوجين، والإندفاع نحو التَّحرُّر، ما جعلها تتفكَّك بقوَّة شديدة، وهذا ترك بصماته في تشتُّت الأولاد، الذين اكتَوَوا بنار تلك الأزمات، ما جعلهم يقفون على حافَّة الضَّياع والغرق في خِضَمِّ الإنحراف والجريمة، وعدم الإستجابة إلى أخلاقيات المجتمع المفروضة آن ذاك، ممَّا ولَّدَ لنا صورًا واقعيةً عن المجتمع الأندلسي وظروفه، إذ أدَّتْ تلك الظروف المحيطة بالأُسرة

والمشحونة بالتقلُّبات، والتغيُّرات المفاجئة أثرًا كبيرًا في تهديم الكيان الأُسَري، وقد استطاع الشعراء تمثُّل تلك الظاهرة التي انعكست في نصوص قصائدهم ومقطوعاتهم الشَعرية، المُشَكَّلَة تشكيلًا جماليًا بديعًا بوساطة التركيز على الإنزياحين اللغوي والبلاغي، فقد رسموا للمتلقي صورًا شعريةً واقعيةً في غاية الدقَّة والجمال، عبر أساليب فنية متنوعة كالتشبيه، والإستعارة المتضمِّنة للـ(التشخيص، والتجسيد، والتجسيم)، والكناية، والتَّضاد، والتَّناص، واللون، والموسيقى الداخلية والخارجية، والتي ساعدت الشاعر في تعميق صورته، عبر توسيع دائرة الإستناد الفنِّي إلى تلك الأساليب التي حاول الشاعر بوساطتها صَدم المتلقي، وصولًا به إلى مشاهدة الواقع الذي كان عليه المجتمع آنذاك، وقد كانت تلك الصور تدفع نحو مقصديَّة واحدة أرادها الشاعر في ذلك التشكيل، وهي أنَّ الواقِعَين الإجتماعي والإقتصادي قد أفرزا إنحلالًا أُسَرِيًّا فكَّكَ الروابط الأُسَرِيَّة، فلم تَعُدْ قادرةً على التماسك والإلتحام تحت سقف ثابت ورصين، وهذا أدَّى بالأُسرة إلى أن تنحدرَ نحو التفكُّك والتصدُّع الذي أصابَ كلَّ فردٍ منها بنصيب.

وختاماً لا بدَّ من القول أنَّني بذلتُ جهداً أحسب أنَّه جمع شتاتاً، وكوَّنَ رؤية، لكنَّه لا يبرّئ البحث من النقص، فقد جلَّ مَن لا نقص فيه وَعَلَا، فإن أكن وُفِّقتُ في ذلك فقد كان هذا مقصدي، أو إن كان عملي يحمل مآخذَ وهِناتٍ، فذاك أنِّي ركبت بحراً لا ينجو من رذاذه راكب، وحسبي أنِّي قد اجتهدتُ أملاً في أن يكون جهدي هذا مثمراً، وأن أكون قد قدَّمتُ شيئاً جديداً يخدم المسيرة العلمية الجادَّة، ويفيد ما يمكن الإفادة منه في المكتبة الأندلسية، وحسبي أنِّي قد تعلَّمتُ منه الكثير.

Abstract

The Phenomenon of Family Disintegration in Andalusian Poetry Era of Caliphate as Example

An extracted research paper from M.A thesis

Key words: family, society, Al-Andalus

Submitted by

Assit. Prof.Luay Saihood Fawaz (Ph.D.) M.A student. Mohammed Jameel Mustafa

University of Diyala

College of Education for Humanities

Department of Arabic Language

This research examines the phenomenon of family disintegration on the basis of the criticism of the Andalusian community within the period of the caliphate era. As it is general known, poetry plays an important role in society, as it emanates from the core of the social system. At the same time, poetry is a social and psychological result of the community. Furthermore, it really represents a reflection and critique for all felids of life, since the poet lives and experiences the problems of his society and its major issues, and helps to develop and modify the behavior of society members. Therefore, it is not enough to merely reflect the reality, but the poet must criticize real situation and present his views and opinions in an attempt to change it for the better. Therefore, Andalusian poet - within this period – is trying to investigate the phenomenon of family disintegration, which evokes his imagination and thoughts that made him criticize this phenomenon, in an effort to make the social community avoid any social ailments or tragedies, and direct its path towards the right destination. The study sought to examine the impact of this phenomenon, and to recognize its aspects within the structure of poetic texts. An analytical approach has been considered to detect the manifestations of this phenomenon in an attempt to realize the embedded meanings and insightful connotations in the depths of those meanings in poetic texts. The meanings of these poetic texts show clearly the implications of social and economic aspects, which

This have a great impact on the spread of this phenomenon. trend has been criticized by poets through their poems, by portraying the real problems of the family, the circumstances that led to make family members disintegrated and dispersed, and how the family at that time was living under critical and complicated situations. This disintegration and displacement can be attributed to several reasons, in the first place , to severe poverty, imprisonment, immigration and internal problems as well as to mixture of Muslims with foreign individuals. The poets depicted a realistic picture of Andalusian family. This disintegration and split made the families fall apart and disassemble before the eyes of the parents with no ability to change or do anything to restore what was cracked in the first place. Disasters and catastrophes besieged them from every direction, broke up the family bonds and interrelationships and

destroyed the basis on which these families drew upon. Under such family bonds-broken circumstances, any society would be threatened.

This study shows more details about Andalusian poetry within that era, particularly the artistic development, which enabled poetry to be a model for this study. This research also highlighted the valuable artistic awareness of the poets of Andalusia in terms of expressing their real experiences, which formed an echo of the events portrayed by their poems.

الهوامش

(١)ينظر، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، إبن عذارى المراكشي، دار الثقافة للنشر، بيروت– لبنان، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م: ٢/ ١٩٨.

(٢) ينظر، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف للنشر، ط٧، ١٩٩٣م: ١٨٤.

(٣) ينظر، المصدر نفسه: ١٩٤.

(٤)الأسرة ومشكلاتها، د. محمود حسن، دار النهضة العربية للنشر، بيروت– لبنان، ١٩٦٧م:٥

(٥) ينظر، الأسرة والبيئة، أحمد يحيى عبد الحميد، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الاسكندرية– مصر، ١٩٩٨م: ٧٤ .

(٦) ينظر، دراسة تحليلية للعوامل المرتبطة بالتفكك الأسري للعائلة العراقية بعد أحداث ٢٠٠٣/٤/٩ (بحث)، د. فخري صبري عباس، مجلة الفتح، ع٥١/ أيلول/ ٢٠١٢م: ٢٦١ .

(٧) ينظر، المصدر نفسه: ٢٦٥ .

(٨) ينظر، نظام الأسرة في الاسلام، د. محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان– الأردن، ط١، ١٩٨٣م: ١/ ١٢ .

(٩) ينظر، أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث، جعفر عبد الأمير الياسين، عالم المعرفة للنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨١م: ٢٢.

(١٠) ينظر، علم المشكلات الاجتماعية، د. معن خليل عمر، دار الشروق للنشر، عمان– الأردن،ط١، ٢٠٠٥م: ٥٥ .

(١١) الشريف الطليق: هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، أمير أموي، وشاعر أندلسي كبير، يعدُّ في بني أميَّة كإبن المعتز في بني العبَّاس،

ملاحة شعر، وحسن تشبيه، كلّ شعره ينتمي إلى التغزُّل والوصف، كما أنَّه يعالج الخمريات في أستاذيَّة ماهرة، وهو ينتمي جماليًّا إلى المدرسة المحافظة المجدِّدة، فمعانيه لا تتَّسم بجرأة كبيرة، وألفاظه منتقاة في غير غلو، أثّرَ على كبار الشعراء الذين جاءوا بعده كإبن زيدون، وإبن خفاجة، توفي الطليق عام (٤٠٠هـ)، ينظر، كتاب مع شعراء الأندلس والمتنبي سير ودراسات، إميليو غرسية غومث، تر: الطاهر أحمد مكي، دار الفكر للنشر، ١٩٧٤م: ٥٩ – ٦٤

(١٢) تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة): ٢٢٤ .

(١٣) ينظر، المُغرب في حُلَى المغرب، إبن سعيد المغربي، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف للنشر، القاهرة– مصر، ط٤، ١٩٩٣م: ١/ ١٨٨ .

(١٤) الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين(رسالة ماجستير) مديانة لعناني،جامعة منتوري، قسنطينة– الجزائر: ٨١ .

(١٥) ينظر، الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره(رسالة ماجستير)، روضة بنت بلال بن عمر المولد، السعودية– جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م: ١٦٢– ١٦٣.

(١٦) ينظر، الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، د. فاضل فتحي محمد والي،دار الأندلس للنشر، حائل– السعودية، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م: ١٠٨– ١٠٩ .

(١٧) ينظر، المصدر نفسه: ١١٠ .

(١٨) قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: ٤٦ .

(١٩) محاضرات في اللسانيات، د. فوزي حسن الشايب، وزارة الثقافة، عمان– الأردن، ١٩٩٩م: ١٩٦– ١٩٧ .

(٢٠) قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: ٤٦

(٢١) ينظر، اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر، القاهرة– مصر، ط٢، ١٩٩٧م: ١٩٣ .

(٢٢) ينظر، المصدر نفسه: ١٨٤ .

(٢٣) قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: ٤٦– ٤٧ .

(٢٤) قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: ٤٧ .

(٢٥) تشكيل الخطاب الشعري (دراسات في الشعر الجاهلي)، د. موسى سامح ربابعة، دار

جرير للنشر، عمَّان- الأُردن، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م: ٧ .

(٢٦) قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: ٤٨ .

(٢٧) ينظر، الإيقاع في شعر أبي مروان الجزيري: ١٥٦ .

(٢٨) قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري: ٥٢- ٥٣ .

(٢٩) ديوان ابن درَّاج القسطلي: ٢٧٦- ٢٧٧ .

(٣٠) التناص // مصطلح نقدي مولَّد، له جذور في النقد العربي القديم، درسه النقاد القدماء تحت باب السرقات الأدبية، والمعارضة، والمناقضة، والتضمين، والإقتباس، والإغارة، والإشارة، عرَّفَهُ الدكتور محمد مفتاح في كتابه "تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص – ص١٢١" بأنَّه فسيفساء من نصوص أخرى أُدمجت فيه بتقنيات مختلفة، ممتصٌّ لها يجعلها من عنديَّاته، بتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده، مُحَوِّلٌ لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها، أو بهدف تعضيدها.
ويمثِّل التناص مع القرآن الكريم مظهرًا من مظاهر تعامل شعراء العصر مع التراث الديني، ويوظِّف هذا التعامل موقف الشعراء إزاء القرآن بوصفه مصدرًا من مصادر البلاغة المتميزة، ومنهلًا عذبًا يردونه ويغذُّون عقولهم وأرواحهم منه، ويفيدون منه في بلورة مواقفهم ووجهات نظرهم، ويأتي حضور النص القرآني في النص الشعري ليؤكِّد أثر القرآن على المستوى الوجداني والروحي تلقّيًا، وعلى المستوى الفنِّي تشكيلًا، وعلى المستوى المضموني رؤيةً، وتأثيرًا. " البنى الأسلوبية في النص الشعري، د. راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، ص٣٩٩".

(٣١) سورة يوسف: ٤.

(٣٢) تجلِّيات قصة يوسف في الشعر الأندلسي بين الثابت القرآني والإنزياح الشعري، وسام قباني، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢م: ١٦ .

(٣٣) ينظر، البنى الأسلوبية في النص الشعري: ٣٣٨ .

(٣٤) ينظر، قصص الأنبياء (ابن كثير): ٢٠١- ٢٠٥.

(٣٥) ديوان ابن درَّاج القسطلِّي: ٢٧٧.

(٣٦) سورة يوسف: ٢١.

(٣٧) ينظر، قصص الأنبياء: ٢٠٦.

(٣٨) ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية)، د. عبد الله الغذامي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م: ١١١ .

(٣٩) ديوان ابن درَّاج القسطلِّي: ٢٧٢ .

(٤٠) ديوان ابن درَّاج القُسطُلِّي: ٢٧٤ .

(٤١) المصدر نفسه: ١٥٨ .

(٤٢) الإغتراب في حياة ابن درَّاج وشعره: ٣١٤ .

(٤٣) ديوان ابن درَّاج القسطلِّي: ١٣٦ .

(٤٤) المصدر نفسه: ٤٥٠ .

(٤٥) ديوان ابن درَّاج القُسطُلِّي: ٤٥٠.

(٤٦) ديوان الحطيئة، شرح ابن السكِّيت، درسه وبوَّبه: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٣م: ١٠٧ .

(٤٧) ديوان ابن درَّاج القُسطُلِّي: ٩٠– ٩١ .

(٤٨) ديوان ابن درَّاج القُسطُلِّي: ٤٣٢ .

(٤٩) البنى الأُسلوبية في النص الشعري: ١٧٥ .

(٥٠) المصدر نفسه: ٣٥١ .

(٥١) ينظر، قصص الأنبياء: ٤٣٤ .

(٥٢) ينظر، تواريخ الحكماء والفلاسفة، شمس الدين الشهرزوري، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة – مصر، : ٢٢٢ .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الأسرة والبيئة، أحمد يحيى عبد الحميد، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية– مصر، ١٩٩٨م.
- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف للنشر، ط٧، ١٩٩٣م.
- أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث، جعفر عبد الأمير الياسين، عالم المعرفة للنشر، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٨١م.

- الأسرة ومشكلاتها، د. محمود حسن، دار النهضة العربية للنشر، بيروت– لبنان، ١٩٦٧م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، إبن عذارى المراكشي، تح: ليفي بروفنسال، وكولان، دار الثقافة للنشر، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، الجزء الثاني.
- البنى الأسلوبية في النص الشعري، د. راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، دار الحكمة للنشر، لندن، ط١، ٢٠٠٤م.
- تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة)، د. إحسان عباس، دار الثقافة للنشر، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٦٩م.
- تواريخ الحكماء والفلاسفة، شمس الدين الشهرزوري، مكتبة الخانجي للنشر القاهرة – مصر.
- تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص – ، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٩٢م.
- تشكيل الخطاب الشعري (دراسات في الشعر الجاهلي)، د. موسى سامح ربابعة، دار جرير للنشر، عمَّان– الأُردن، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
- تجلِّيات قصة يوسف في الشعر الأندلسي بين الثابت القرآني والإنزياح الشعري، وسام قباني، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢م.
- ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية)، د. عبد الله الغذامي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م.
- ديوان ابن درَّاج القسطلِّي ، تح: د. محمود علي مكي، المكتب الإسلامي للنشر، ط٢، ١٣٨٩هـ – ١٩٧٠م.
- ديوان الحطيئة، شرح ابن السكِّيت، درسه وبوَّبه: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية،بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- علم المشكلات الاجتماعية، د. معن خليل عمر، دار الشروق للنشر، عمان– الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.

- الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، د. فاضل فتحي محمد والي، دار الأندلس للنشر، حائل- السعودية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- قصص الأنبياء، إبن كثير، مراجعة وتقديم: محمد علي قطب، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة- مصر، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والسُّنَّة، تح: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر، القاهرة- مصر، ط٢، ١٩٩٧م.
- مع شعراء الأندلس والمتنبي سير ودراسات، إميليو غرسية غومث، تر: الطاهر أحمد مكي، دار الفكر للنشر، ١٩٧٤م.
- محاضرات في اللسانيات، د. فوزي حسن الشايب، وزارة الثقافة، عمان- الأردن، ١٩٩٩م. المُغرب في حُلَى المغرب، إبن سعيد المغربي، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف للنشر، القاهرة- مصر، ط٤، ١٩٩٣م.
- نظام الأسرة في الاسلام، د. محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان- الأردن، ط١، ١٩٨٣م
- الرسائل الجامعية
- الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين(رسالة ماجستير)، مديانة لعناني، جامعة منتوري، قسنطينة – الجزائر.
- الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره(رسالة ماجستير)، روضة بنت بلال بن عمر المولد، السعودية – جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- **البحوث**
- الايقاع في شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي(بحث)، د. غيداء أحمد سعدون شلاش، وهدى مصطفى عبد الله، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج١٠/ ع٤/ ٢٠١١م.
- دراسة تحليلية للعوامل المرتبطة بالتفكك الأسري للعائلة العراقية بعد أحداث ٢٠٠٣/٤/٩ (بحث)، د. فخري صبري عباس، مجلة الفتح، ع٥١/ أيلول/ ٢٠١٢م.